

(كيف يكونُ الربعُ الخالي خالياً، كيف..!؟)

لا نومَ أَرادَكَ ليلةَ أمسِ

لا نومَ؛ فضِغْثٌ مِـنْ أَصْغَاثِ الأحلامِ غراكِ

جاء يُعْكَرُ صَفْوَـ مَنَامِكَ تلكَ الليلةِ

جاء يُعْكَرُ صَفْوَـ يَتَذَمَّـغُـطُّ فِيهِ العِـقْلُ ويرتاحُ الإدراكِ

جاءَكَ في نومِكَ شَخْصٌ يَصْرُخُ، لمْ يَعْرِفْ معنىَ الهمسِ

يهذي، يَنْظُرُ في عَيْنِكَ لَعَلَّكَ تُوَافِقُهُ في الهذيانِ

لكنَّـكَ بالصمتِ تلوذُ، تلوذُ كعادَتِكَـ

تَمَرُّسٌ مِّنْ مَّصْدَرِ اللُّغْوِ مَرُورَ الْكَرَامِ

حتى في أحلامِكْ تُحِبُّ أَنْ تَمَرَّ مَرُورَ الْكَرَامِ بِمَا لَا نَفْعَ فِيهِ

تَلَجَأُ إِلَى لَعْنِكَ إِلَى حَكْمَتِكَ

فلعلَّ الحِكْمَةَ تُزْهِرُ فِي قَلْبِ مَنْ يَخْتَبِرُكَ بِاللُّغْوِ

لعلَّ ذلكَ يحدثُ حتى في عالمِ الأحلامِ ، لعلَّه

لعلَّه يُرَاكَ بِوَاسِطَةِ قَلْبِهِ لَا بِوَاسِطَةِ لِسَانِهِ

ببصرِ بصيرتِهِ لَا ببصرِ سَمْعِهِ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْكَ الْمِشَارَكَةَ فِي لَعْبَةِ اللُّغْوِ ، فِي لَعْبَةِ هَذَا نَرِهِ

لعلّهُ يُرَاكَ فِي نَصُوصِكَ الَّتِي رَأَاهَا ابْنُ أَبِي سَلَمَى

رَأَاهَا امْرُؤُ الْقَيْسِ، رَأَاهَا ابْنُ الْعَبْدِ، رَأَاهَا ابْنُ الْأَحْنَفِ

لعلّهُ يُتَزَوَّدُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ نَصُوصِكَ

لعلّهُ بِدَقَّاتِ الْقَلْبِ يَفْهَمُكَ

بَعِينِهِ الَّتِي تَرَى حِكْمَتَكَ الْمُنْثَوْرَةَ لَا بِأُذُنِهِ

لعلّهُ يَرَى نَفْسَهُ وَيُرَاكَ

لعلّهُ يُصَاحِبُكَ فِي الرِّجْلَةِ إِلَى الْيَنَابِيعِ الَّتِي يَتَدَفَّقُ مِنْهَا الشَّعْرُ

يَتَدَفَّقُ مِنْهَا اللَّفْظُ الَّذِي يُشْبِهُهُ عَيُونَُ الْمَهَا فِي سِحْرِهِ

في جاذبيّـتهِ التي تَتَأَجَّـجُ لها دواخلُ الروح

في المعاني التي تَتَلَطَّمُ كاللججِ مِنْ العيون

لعلَّـهُ لا يَرى الربعَ الخاليَ خالياً

كيف يكونُ خالياً ، كيف ..؟!

كيف يُعَرِّضُ عن رمالـِهِ ، عن رياحـِهِ التي تلاعبُها

عنهما حينَ يُعيدانِ شَدَّوْ حادي العيس

فما زال صـداهُ فيهما ، في الرمالِ في الرياح

في الجلالِ الذي يَجْعَلُ بـودليـرَ يُرَاجِعُ نَفْسَه

يَـرى رمالَ الرِّبعِ الخالي يراها

بدهشةٍ يراها تبتلعُ رمزيَّـتَه

تغوصُ رمزيَّـتُه في رمزيَّـتِـها

هي لا شيءَ فيها لا شيءَ حينَ تُقارَنُ بسـحـرِـها

لا شيءَ مـنْ حيثُ الكَم، لا شيءَ مـنْ حيثُ الكيف

فما بالُ صاحبِ منامك يهذي بانـدفاعٍ بانـبهارٍ، بما لا يعرف

بما لا يعرفُ ما تحتَ قدميه وما فوقَ رأسِه

وما بالُ قِلَّةٍ مِمَّنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِ

مِنْ أَصْحَابِهِ الذَّائِبِينَ فِي رَمِيزَةٍ بَوْدَلِيرَ مَا بِالْهُمْ

كيف لا يتعلمون منه القدرة على المراجعة

كيف لا يتعلمون منه الذوبان في جمال رمزية الربع الخالي الأضداد

كيف لا يذوبون فيه مثلما ذاب فيه بودلير

مثلما ذاب فيه رامبو، مثلما ذاب فيه مالارمي

كيف لا يُبصرون في أنفسهم وما أدراك ما فيها

فيها ثراءٌ جَماليٌّ يدهشُ الكونَ بأسره

يُعلِّمُ الكونَ كيف يكونُ الفنُّ، كيف يكونُ الإبداع

يجعلُ الشعراءَ الكونيين يَتَوَقَّون إلى لمسِ حَفْنَةٍ مِنْ رمالِ الربعِ الخالي

يُقبِّلُ لونها تقبيلَ مَنْ قَدَّ لَ جدارَ دارِ ليلي

يُذَيِّبونها في الفواريرِ التي يشربون منها

كُلُّ ذلكَ لأجلِ أن تَمْتَلئَ أرواحُهم بالربعِ الخالي مِنْ اللغةِ الخطابيَّةِ الصَّحْلةِ

مِنْ اللغةِ المتسترةِ بغموضِها التقريريِّ الكَذوبِ

كُلُّ ذلكَ لأجلِ أن يُغْنِيهم الربعُ الطافحُ بما هو مدهش

بما هو في الربعِ الخالي كما يُقالُ عنه ويُقال

بما لا نظيرَ لهُ في فرادةِ محلِّيّتِه التي يكونُ منها الانطلاق

بما لا شبيهَ لهُ في النكهةِ ، في الرائحةِ ، في اللون

بالمعاني البكرِ التي لا يحدُّ مداها قلمُ خيال

بشعرٍ يَستَـئِنّا الفذِّـةَ التي لها طاقةُ التدفقِ ، طاقةُ إدهاشِ الكون

ولها تخشعُ المواهبِ المنفتحةُ وفيها تذوب

وإليها حتماً سوف تهفو القلوب.

